عنوان الكتاب:

نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق

تأليف:

محمد ناصر الدين الألباني

الناشر:

المكتب الإسلامي

الطبعة الثالثة: 1417هـ - 1996م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي اصطفى نبينا على سائر البشر، وعصمه من الشيطان، أن يوحي إليه بشرٍّ، فقال تعالى مخاطبًا إبليس اللعين: **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}** [الحجر: 42]، بل جعل تعالى له السلطة على شيطانه القرين، فكيف من كان عنه من المبعدين؟. كما أشار إلى ذلك قول رسوله الكريم: "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن" قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: "وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير"1. وصلى الله على محمد الذي مكنه الله تعالى من إبليس حتى كاد أن يخنقه، وهَمّ أن يربطه بسارية من سواري مسجد المدينة2 وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد؛ فقد كتب إلي بتاريخ 14/ 7/ 1952م بعض الأساتذة

---

1 أخرجه أحمد "رقم 3647، 3778، 3801، 4393" طبعة المكتب الإسلامي، ومسلم "8/ 139" عن ابن مسعود.

2 جاء ذلك في "صحيح البخاري" "3/ 62" بشرح ابن حجر، ومسلم "2/ 72"، غيرهما.

من الإخوان الأعزة من الباكستان -حيث أُوفد إليها لغاية علمية- يسألني عن رأيي في حديث الغرانيق الذي اختلف فيه قول حافظين كبيرين، هما: ابن كثير الدمشقي، وابن حجر المصري، فقد أنكره الأول وقواه الآخر. وطلب مني أن لا أضن بالجواب عليه، فلبثت بعض الأشهر أترقب فرصة أستطيع فيها إجابة طلبه. ثم لقيني أحد الأحبة عقب صلاة عيد الأضحى لهذه السنة -1371هـ- فسألني أيضًا عن حديث الغرانيق، فأجبته بأنه لا يصح، بل هو باطل موضوع، فذكر لي أن أحد الشباب ممن في قلوبهم مرض احتج به على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان -وحاشاه- يتكلم بما يرضي المشركين جذبًا لهم إليه، لأنه بزعمه الباطل لم يكن نبيًا صادقًا، وإنما كان يتظاهر بذلك تَرَؤُسًا عليهم كما يهرف بذلك بعض الملاحدة قديمًا وحديثًا، فحملني ذلك على أن أغتنم فرصة العيد المذكور، فشرعت -متوكلًا

على الله الغفور- في جمع طرق تلك القصة من كتب التفسير والحديث، وبينت عللها متنًا وسندًا، ثم ذكرت قول الحافظ ابن حجر في تقويتها، وتعقبته بما يبين وَهْيَ ما ذهب إليه، ثم عقّبت على ذلك بذكر بعض البحوث والنقول عن بعض الأئمة الفحول ذوي التحقيق في الفروع والأصول، تؤيد ما ذهبنا إليه من نكارة القصة وبطلانها، ووجوب رفضها، وعدم قبولها، تصديقًا لقوله تعالى: **{لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ**

ص -5- **بُكْرَةً وَأَصِيلًا}** [الفتح: 9]، فجاءت رسالة فريدة في بابها، قوية في موضوعها، ترفع حيرة الأخ المؤمن، وتطيح بشبهة الملحد الأرعن، وقد سميتها: **"نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق"** أسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه، ويقبلها مني نصرة لنبيه، ويدّخر لي ثوابها ليوم أحْوَجُ ما نكون فيه إلى شفاعته، **{يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}** [الشعراء: 88-89] إنه هو السميع العليم، والبر الرحيم.

دمشق في: 2 - 1 - 1372 هـ - 21 - 9 - 1952م

محمد ناصر الدين الألباني

ص -7- **بين يدي الروايات:**

وقبل أن أشرع في سَوق روايات القصة، أرى أنه لا بد من أن نذكر كلمة، تتميمًا لفائدة الرسالة، فأقول:

إن هذه القصة قد ذكرها المفسرون عند قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [الحج: 52-45].

وقد اختلفوا في تفسير قوله تعالى: **{تَمَنَّى}** و**{أُمْنِيَّتِهِ}**، وأحسن ما قيل في ذلك: إن **{تَمَنَّى}** من "الأمنية" وهي التلاوة، كما قال الشاعر في عثمان رضي الله عنه حين قتل:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حِمام المقادر

وعليه جمهور المفسرين والمحققين، وحكاه ابن كثير عن أكثر

ص -8- المفسرين، بل عزاه ابن القيم إلى السلف قاطبة فقال في "إغاثة اللهفان1: 1/ 93":

"والسلف كلهم على أن المعنى إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته" وبيّنه القرطبي فقال في "تفسيره: 12/ 83": وقد قال سليمان بن حرب: إن **{فِي}** بمعنى: عند، أي ألقى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم كقوله عز وجل: **{وَلَبِثْتَ فِينَا}** [الشعراء: 18]، أي عندنا، وهذا هو معنى ما حكاه ابن عطية عن أبيه عن علماء الشرق، وإليه أشار القاضي أبو بكر بن العربي.

قلت: وكلام أبي بكر سيأتي في محله إن شاء الله تعالى، وهذا الذي ذكرناه من المعنى في تفسير الآية، هو اختيار الإمام ابن جرير، حيث قال بعد ما رواه عن جماعة من السلف [17/ـ 121]: "وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله تعالى: **{فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ}** [الحج: 52] على ذلك، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم بذلك أن الذي ألقى فيه الشيطان، هو ما أخبر تعالى ذكره أنه نَسَخ ذلك منه وأبطله ثم أحكمه بنسخه

1 انظر طبعة المكتب الإسلامي ودار الخاني، تحقيق الأستاذ محمد عفيفي، الطبعة الثانية، "1/ 150".

ذلك، فتأمل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ أو حدّث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدّث وتكلم، فينسخ الله ما يلقي الشيطان بقوله تعالى: فيُذْهِب الله ما يلقي الشيطان من ذلك، على لسان نبيه ويبطله.

هذا هو المعنى المراد من هذه الآية الكريمة، وهي كما ترى ليس فيها إلا أن الشيطان يلقي عند تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ما يفتتن به الذين في قلوبهم مرض، ولكن أعداء الدين الذين قعدوا له في كل طريق، وترصدوا له عند كل مرصد، لا يرضيهم إلا أن يدسوا فيه ما ليس منه، ولم يقله رسوله، فذكروا ما ستراه في الروايات الآتية، مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، وذلك دَيْدَنهم منذ القديم، كما فعلوا في غير ما آية وردت في غيره صلى الله عليه وسلم من الأنبياء، كداود، وسليمان، ويوسف عليهم الصلاة والسلام، فرووا في تفسيرها من الإسرائيليات ما لا يجوز نسبته إلى رجل مسلم فضلًا عن نبي مُكَرَّم. كما هو مبين في محله من كتب التفاسير والقصص.

فَحذارِ أيها المسلم أن تغتر بشيء منها فتكون من الهالكين، و "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" كما قال نبيك صلى الله عليه وسلم، **{وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [الحج: 54].

روايات القصة وعِلَلُها:

بعد أن فرغنا من ذكر الفائدة التي وعدنا بها، أعود إلى ذكر روايات القصة التي وقفنا عليها لكي نسردها رواية رواية، ونذكر عقب كل منها ما فيها من علة فأقول:

1- عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت هذه الآية: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى}** [النجم: 19]، قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى" فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المشركون: إنه لم يذكر آلهتهم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ..}** [الحج: 52] إلى قوله: **{عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ}** [الحج: 55].

أخرجه ابن جرير "17/ـ 120" من طريقين عن شعبة عن أبي بشر عنه، وهو صحيح الإسناد إلى ابن جبير، كما قال الحافظ على ما يأتي عنه، وتبعه السيوطي في "الدر المنثور: 4/ـ 366"، وعزاه لابن المنذر أيضًا وابن مردويه بعد ما ساقه نحوه بلفظ: "ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى" الحديث، وفيه:

ص -11- ثم جاءه جبريل بعد ذلك، قال: إعرض علّي ما جئتك به، فلما بلغ: "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى" قال جبريل: لم آتك بهذا، هذا من الشيطان! فأنزل الله: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ}** [الحج: 52]. وهكذا أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" من طريق أخرى عن سعيد بن حسن، كما سيأتي.

وقد روي موصولًا عن سعيد، ولا يصح:

رواه البزار1 في "مسنده" عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس -فيما أحسبه، الشك في الحديث- أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة سورة "النجم" حتى انتهى إلى قوله: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى}** [النجم: 19]، وذكر بقيته، ثم قال البزار:

---

1 قلت: وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير: ورقة 162 وجه 2" من نسخة خطية في المكتبة الظاهرية تحت رقم "283 حديث" قال: حدثنا حسين بن إسحاق التستري، وعبدان بن أحمد، قالا حدثنا يوسف بن حماد المعنى به، وفيه: "ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، شفاعتهم ترتجى". ورواه الضياء المقدسي في "المختارة: ق 120/1/2" من طريق الطبراني وابن مرداويه من طرق عن يوسف به.

ص -12- "لا نعلمه يروى متصلًا إلا بهذا الإسناد، تفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور، وإنما يروي هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس" كذا في "تفسير ابن كثير: 3/ 129". وعزا الحافظ في "تخريج الكشاف: 4/ 144" هذه الرواية "للبزار، والطبري، وابن مردويه" وعزوه للطبري سهو، فإنها ليست في تفسيره فيما علمت -إلا إنْ كان يعني غير التفسير من كتبه، وما أظن يريد ذلك، ويؤيدني أن السيوطي في "الدر" عزاها لجميع هؤلاء إلا الطبري، إلا أن السيوطي أوهم أيضًا حيث قال عطفًا على ما ذكر: والضياء في "المختارة" بسند رجاله ثقات، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قرأ، فذكر الحديث مثل الرواية المرسلة التي نقلناها آنفًا عن الدر نفسه، ومحل الإيهام هو قوله: "بسند رجاله ثقات" بالإضافة إلى أنه أخرجه الضياء في "المختارة". فإن ذلك يوهم أنه ليس بمعلول، وهذا خلاف الواقع، فإنه معلول بتردد الراوي في وصله كما نقلناه عن "تفسير ابن كثير" وكذلك هو في "تخريج الكشاف" وغيره، وهذا ما لم يرد ذِكْرُه في سياق السيوطي، ولا أدري أذلك اختصارًا منه، أم من بعض مخرجي

ص -13- الحديث؟1 وأيًا ما كان، فما كان يليق بالسيوطي أن يغفل هذه العلة، لا سيما وقد صرح بما يشعر أن الإسناد صحيح، وفيه من التغرير ما لا يخفى، فإن الشك لا يوثق به، ولا حقيقة فيه، كما قال القاضي عياض في "الشفاء: 2/ 118" وأقره الحافظ في "التخريج" لكنه قال عقب ذلك: "ورواه الطبري من طريق سعيد بن جبير مرسلًا، وأخرجه ابن مردويه من طريق أبي عاصم النبيل، عن عثمان بن الأسود، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه، ولم يشك في وصله، وهذا أصح طرق

الحديث. قال البزار... ".

قلت: وقد نقلنا كلام البزار آنفًا، ثم ذكر الحافظ المراسيل الآتية، ثم قال: "فهذه مراسيل يقوي بعضها بعضًا".

قلت: وفي عبارة الحافظ شيء من التشويش، ولا أدري أذلك منه، أم من النساخ؟ وهو أغلب الظن، وذلك لأن قوله: "وهذا أصح طرق هذا الحديث" إن حملناه على أقرب مذكور، وهو طريق ابن مردويه الموصول كما هو المتبادر، منعنا من ذلك أمور:

---

1 ثم رأيت السيوطي قد أورده في كتابه "أسباب النزول" على الشك في رفعه فأصاب، فتبين أن لا مسئولية فيه على غيره.

ص -14- الأول: قول الحافظ عقب ذلك: "فهذه مراسيل يقوي بعضها بعضًا"، فإن فيه إشارة إلى أن ليس هناك إسناد صحيح موصول يعتمد عليه، وإلا لَعرَّج عليه وجعله أصلًا , وجعل الطريق المرسلة شاهدة ومُقَوية له، ويؤيده الأمر الآتي وهو:

الثاني: وهو أن الحافظ لما رَدّ على القاضي عياض تضعيفه للحديث من طريق إسناد البزار الموصول بسبب الشك، قال الحافظ: "أما ضعفه فلا ضعف فيه أصلًا "قلت: يعني في رواته"، فإن الجميع ثقات، وأما الشك فيه، فقد يجيء تأثيره ولو فردًا غريبًا -كذا- لكن غايته أن يصير مرسلًا، وهو حجة عند عياض وغيره ممن يقبل مرسل الثقة، وهو حجة إذا اعتضد عند من يَرُدّ المرسل، وهو إنما يعتضد بكثرة المتابعات".

فقد سلَّم الحافظ بأن الحديث مُرْسَلٌ، ولكن ذهب إلى تقويته بكثرة الطرق، وسيأتي بيان ما فيه في ردنا عليه قريبًا إن شاء الله تعالى.

فلو كان إسناد ابن مردويه الموصول صحيحًا عند الحافظ، لرد به على القاضي عياض، ولما جعل عمدته في الرد عليه هو كثرة الطرق، وهذا بين لا يخفى.

الثالث: أن الحافظ في كتابه "فتح الباري" لم يُشِرْ أدنى إشارة

ص -15- إلى هذه الطريق فلو كان هو أصح طرق الحديث، لذكره بصريح العبارة، ولجعله عمدته في هذا الباب كما سبق.

الرابع: أن من جاء بعده -كالسيوطي وغيره- لم يذكروا هذه الرواية.

فكل هذه الأمور تمنعنا من حمل اسم الإشارة "هذا" على أقرب مذكور، وتضطرنا إلى حمله على البعيد، وهو الطريق الذي قبل هذا، وهو طريق سعيد بن جبير المرسل. وهو الذي اعتمده الحافظ في "الفتح" وجعله أصلًا، وجعل الروايات الأخرى شاهدة له، وقد اقتدينا نحن به، فبدأنا أولًا بذكر رواية ابن جبير هذه، وإن كنا خالفناه في كون هذه الطرق يقوي بعضها بعضًا.

قلت: هذا مع العلم أن القدر المذكور من إسناد ابن مردويه الموصول رجاله ثقات رجال الشيخين، لكن لا بد أن تكون العلة فيمن دون أبي عاصم النبيل، ويقوي ذلك، أعني كون إسناده مُعَلًا أنني رأيت هذه الرواية أخرجها الواحدي في "أسباب النزول": ص 233" من طريق سهل العسكري قال: أخبرني يحيى "قلت: هو القطان" عن عثمان بن الأسود، عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه

وسلم: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، فألقى الشيطان على لسانه: "تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى" ففرح بذلك المشركون، وقالوا: قد ذكر آلهتنا، فجاء جبريل عليه السلام إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إعرض علّي كلام الله، فلما عرض عليه، قال: أما هذا فلم آتك به، هذا من الشيطان، فأنزل الله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ}** الآية [الحج: 52].

فرجع الحديث إلى أنه -عن عثمان بن الأسود عن سعيد- مرسل، وهو الصحيح، لموافقته رواية عثمان هذه، رواية أبي بشر عن سعيد.

ثم وقفت على إسناد ابن مردويه ومتنه، بواسطة الضياء المقدسي في "المختارة:60/ 235/ 1" بسنده عنه قال: حدثني إبراهيم بن محمد، حدثني أبو بكر محمد بن علي المقري البغدادي، ثنا جعفر بن محمد الطيالسي، ثنا إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرة، ثنا أبو عاصم النبيل، ثنا عثمان بن الأسود، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، "تلك الغرانيق العلى، وشفاعتهن ترتجى"، ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا فجاءه جبريل، فقال: اقرأ علّي ما جئتك به، قال: فقرأ **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، "تلك الغرانيق العلى، وشفاعتهن ترتجى"، فقال: ما أتيتك بهذا، هذا عن الشيطان، أو قال: هذا من الشيطان، لم آتك بها! فأنزل الله

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} إلى آخر الآية".

قلت: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات وكلهم من رجال "التهذيب" إلا من دون ابن عرعرة، ليس فيهم من ينبغي النظر فيه غير أبي بكر محمد بن علي المقري البغدادي، وقد أورده الخطيب في "تاريخ بغداد" فقال "3/ 68–69": "محمد بن علي بن الحسن أبو بكر المقرئ، حدث عن محمود بن خداش، ومحمد بن عمرو، وابن أبي مذعور. روى عنه أحمد بن كامل القاضي، ومحمد بن أحمد بن يحي العطشي" ثم ساق له حديثًا واحدًا وقع فيه مكنًا بـ "أبي حرب"، فلا أدري أهي كنية أخرى له، أم تحرفت على الناسخ أو الطابع، ثم حكى الخطيب عن العطشي أنه قال: "توفي سنة ثلاثمائة"، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، فهو مجهول الحال، وهو علة هذا الإسناد الموصول، وهو غير أبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم الأصبهاني المشهور بابن المقرئ، الحافظ الثقة، فإنه متأخر عن هذا نحو قرن من الزمان، وهو من شيوخ ابن مردويه مات سنة "381" إحدى وثمانين وثلاثمائة، ووقع في "التذكرة: 3/ 172" "ومائتين" وهو خطأ.

فثبت مما تقدم صواب ما كنا جزمنا به قبل الاطلاع على إسناد ابن مردويه "أن العلة فيه فيمن دون أبي عاصم النبيل".

ص -18- وازددنا تأكدًا من أن الصواب عن عثمان بن الأسود إنما هو عن سعيد بن جبـير مرسـلًا كمـــــــــــا رواه الواحـــــــــــدي، خلافًـــــــــــا لروايـــــــــــة ابن مردويـــــــــــه عنـــــــــــه.
وبالجملـــة، فالحـــديث مرســـل، ولا يصـــح عن ســـعيد بن جبـــير موصـــولًا بوجـــه من الوجـــوه.
2- عن ابن شهاب: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث "أن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهو بمكة قرأ عليهم: **{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}** [النجم: 1]، فلما بلغ **{أَفَـرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُـزَّى، وَمَنَـاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، قـال: "إن شـفاعتهن تـرتجى" سـها رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم، فلقيه المشركون الذين في قلوبهم مرض فسلموا عليه وفرحوا بذلك، فقال لهم: "إنما ذلـك من الشيطان"ـ فأنزل الله: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ}** حتى بلغ **{فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَـا يُلْقِي الشَّـــــــــــــيْطَانُ}** [الحج: 52].
رواه ابن جرير "17/ـ 121" وإسـناده إلى أبي بكـر بن عبـد الـرحمن صـحيح، كمـا قـال السـيوطي تبعًـا للحافظ، لكن علته أنه مرسل1 وعزاه السيوطي لعبد بن حميد أيضًا، وأخرجه ابن أبي حـاتم من طريـق محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن

---

1 وقال النحاس: "هذا حديث منقطع، وفيه هذا الأمر العظيم" ذكره القرطبي "12/81".

ص -19- شهاب قال: فذكره مطولًا، ولم يذكر في إسناده أبا بكر بن عبد الرحمن، فهو مرسـل، بـــــــــل معضـــــــــل، ولفظـــــــــه كمـــــــــا في "ابن كثـــــــــير" و"الـــــــــدر":
"لما أنزلت سـورة النجم، وكـان المشـركون يقولـون: لـو كـان هـذا الرجـل يـذكر آلهتنـا بخـير، أقررنـاه وأصحابه، ولكن لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الـذي يـذكر آلهتنـا من الشـتم والشـر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشـتد عليـه مـا نالـه وأصـحابه من أذاهم وتكـذيبهم، وأحزنتـه ضلالتهم، فكان يتمنى كفَّ أذاهم , وفي "ابن كثير" هـدايتهم، فلمـا أنـزل اللـه سـورة **{وَالنَّجْمِ}** قـال: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، ألقى الشيطانِ عنـدها كلمـات حين ذكر الطواغيت، فقال: "وإنهن لَهن الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لَهِيَ التي تُرتَجى" فكان ذلك من سجع الشيطانِ وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، ودلقت بها ألسنتهم، وتباشروا بها، وقالوا: إن محمدًا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلما بلغ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم آخـر **{وَالنَّجْمِ}** سـجد وسـجد كـلُّ من حضـر من مسـلم ومشـركـ ففشـت تلـك الكلمـة في النـاسـ وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة، فأنزل اللـه **{وَمَـا أَرْسَـلْنَا مِنْ قَبْلِـكَ مِنْ رَسُـولٍ وَلا نَبِيٍّ}** [الحج: 52]، فلما بيّن الله

ص -20- قضاءهـ وبرّأه من سجع الشيطان، انقلب المشركون بضلالتهم وعـداوتهم للمسـلمين، واشـــــــــــــــــــــــــــــتدوا عليـــــــــــــــــــــــــــــه"1.
وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" عن موسى بن عقبة ساقه من "مغازيه" بنحـوه لم يـذكر ابن شـهاب كمـــــــــا في "الـــــــــــــدر": 4/ـــــــــــ 367" وغـــــــــــيره.
3- عن أبي العالية قال: قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنمـا جلسـاؤك عبيـد بـني فلان،

ومولى بني فلان، فلو ذكرت آلهتنا بشيء جالسناك، فإنه يأتيك أشرف العرب، فإذا رأوا جلساءك أشرف قومك كان أرغب لهم فيك، قال: فألقى الشيطان في أمنيته، فنزلت هذه الآية: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، قال: فأجرى الشيطان على لسانه: "تلك الغرانيق العلى، وشفاعتهن ترتجى، مثلهن لا ينسى" قال: فسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين قرأها وسجد معه المسلمون والمشركون، فلما علم الذي أجري على لسانه، كبر ذلك عليه، فأنزل الله: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ}** إلى قوله **{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** [الحج: 52].

---

1 هذا سياق "الدر"، وهو مختصر عن سياق "ابن كثير" ومما فيه: فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين.

ص -21- أخرجه الطبري "17/ 120" من طريقين عن داود بن أبي هند عنه، وإسناده صحيح إلى أبي العالية، لكن علته الإرسال، وكذلك رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

4- عن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس قالا: "جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: **{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}** [النجم: 1-2] فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، ألقى عليه الشيطان كلمتين: "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى" فتكلم بها ثم مضى، فقرأ السورة كلها، فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعًا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابًا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخًا كبيرًا لا يقدر على السجود، فرضوا بما تكلم به، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذا جعلتَ لها نصيبًا فنحن معك، قالا: فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "افتريت على الله، وقلت ما لم يقل"، فأوحى الله إليه: **{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي**

ص -22- **أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ}**1[الإسراء: 73] إلى قوله: **{ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}** [الإسراء: 75]، فما زال مغمومًا مهمومًا حتى نزلت عليه: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى...}** [الحج: 52]، قال: فسمع كل من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا: هو أحب إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان".

أخرجه ابن جرير "17/ 119" عن طريق أبي معشر عنهما، وأبو معشر ضعيف، كما قال الحافظ في "التقريب" واسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي.

ثم أخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد المدني، عن محمد بن كعب القرظي وحده به أتمّ منه، وفيه: "فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم، فأصاخوا له،

والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاء به عن ربهم، ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل، الحديث".
ويزيد هذا ثقة، لكن الراوي عنه ابن إسحاق مدلس، وقد عنعنه.

---

1 وتمام الآية **{وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا، وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا، إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}** [الإسراء: 73-75].

5- عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين، فألقى الشيطان في أمنيته فقال: "إن الآلهة التي تدعى، إن شفاعتهن لترتجى، وإنها لَلْغرانيق العلى" فنسخ الله ذلك، وأحكم الله آياته: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى}** [النجم: 19]1حتى بلغ **{مِن سُلْطَان}** [النجم: 23]، قال قتادة: لما ألقى الشيطان ما ألقى، قال المشركون: قد ذكر الله آلهتهم بخير، ففرحوا بذلك، فذكر قوله: **{لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}** [الحج: 53].
أخرجه ابن جرير "17/ 122" من طريقين عن معمر عنه، وهو صحيح إلى قتادة، ولكنه مرسل أو معضل. وقد رواه ابن أبي حاتم كما في "الدر" بلفظ أتم منه وهو: "قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام، نعس، فألقى الشيطان على لسانه كلمة فتكلم بها، وتعلق بها المشركون عليه، فقال: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20] فألقى الشيطان على لسانه ولغى: "وإن شفاعتهن لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى" فحفظها المشركون، وأخبرهم الشيطان أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قد قرأها، فذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ**

---

1 وتمام الآية **{وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى، إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}** [النجم: 20-23].

مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ} الآية [الحج: 52]، فدحر الله الشيطان ولقن نبيه حجته".
6- عن عروة -يعني ابن الزبير- في تسمية الذين خرجوا إلى أرض الحبشة المرة الأولى "قلت وفيه:" "فقال المشركون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير، أقررناه وأصحابه، فإنه لا يذكر أحدًا ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر به آلهتنا من الشتم والشر، فلما أنزل الله -عز وجل- السورة التي يذكر فيها: **{وَالنَّجْمِ}** وقرأ: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر مالطواغيت فقال: "وإنهن لَمِنَ الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهم لتُرتجى" وذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلماتان في قلب كل مشرك وذلت بها ألسنتهم، واستبشروا بها، وقالوا: إن محمدًا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر السورة التي فيه **{النَّجْمُ}** سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم ومشرك، غير أن الوليد بن المغيرة -كان رجلًا كبيرًا-، فرفع مِلْءَ كفه ترابًا فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما المسلمون فعجبوا من

سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان على ألسنة المشركين، وأما المشركون فاطمأنت أنفسهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما سمعوا الذي ألقى الشيطان في أمنية

ص -25- النبي صلى الله عليه وسلم وحدثهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأها في "السجدة"ـ فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة.. فكَبُرَ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام، فشكا إليه، فأمره فقرأ عليه، فلما بلغها تبرأ منها جبريل عليه السلام، وقال: معاذ الله من هاتين، ما أنزلهما ربي، ولا أمرني بهما ربك!! فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليه، وقال: "أطعتُ الشيطان، وتكلمتُ بكلامه وشركني في أمر الله"، فنسخ الله -عز وجل- ما ألقى الشيطان، وأنزل عليه: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ}** إلى قوله: **{لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}** [الحج: 53]. فلما برأه الله عز وجل من سجع الشيطان وفتنته انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم". رواه الطبراني هكذًا مرسلًا، كما في "المجمع: 6؛ 32 ـ 34 و 7؛ 70 ـ 72"1 وقال: "وفيه ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة".

---

1 ثم وقفت عليه في "معجمه الكبير: ج3 ورقة 2 وجه 2" من النسخة الخطية الظاهرية تحت رقم 283 وسنده هكذا: حدثنا محمد بن عمر أبن خالد الحراني: نا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة به.

ص -26- **7-** عن صالح قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون: إن ذكر آلهتنا بخير ذكرنا إلهه بخير، فألقى في أمنيته: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، "إنهن لفي الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى" قال: فأنزل الله **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ...}** الآية [الحج:52].

أخرجه عبد حُميد كما في "الدر: 4/366" من طريق السدي عنه، وأخرجه ابن أبي حاتم عن السدي لم يتجاوزه بلفظ: "قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد ليصلي فبينما هو يقرأ، إذ قال: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، فألقى الشيطان على لسانه فقال: "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى" حتى إذا بلغ آخر السورة سجد وسجد أصحابه، وسجد المشركون لذكر آلهتهم فلما رفع رأسه حملوه فاشتدوا به قطري مكة يقولون: نبي بني عبد مناف، حتى إذا جاء جبريل عرض عليه فقرأ ذينك الحرفين، فقال جبريل: معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا! فاشتد عليه، فأنزل الله يطيب نفسه: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ...}** الآية [الحج:52].

ص -27- قلت: وقد رُوي موصولًا عن ابن عباس أخرجه ابن مرديه من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. وهذا إسناد ضعيف جدًا، بل موضوع، فقد قال سفيان: "قال لي الكلبي: كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب"، والكلبي هذا اسمه محمد بن السائب، وقد كان مفسرًا نسّابة أخباريًا.

وقال ابن حبان: كان الكلبي سبائيًا من أؤلئك الذين يقولون: إن عليًا لم يمت وأنه راجع إلى الدنيا، ويملؤها عدلًا كما ملئت جورًا، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها". قال: ومذهبه في الدين، ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، ويروي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به؟!1.

وروي من وجوه أخرى عن ابن عباس سيأتي ذكرها، لا يصح شيء منها.

8- عن الضحاك قال: في قوله **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ...}** الآية [الحج: 52]، فإن نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكه أنزل الله عليه في آلهة العرب، فجعل يتلو اللات والعُزّى

---

1 نقلته من "ميزان الإعتدال في نقد الرجال" للإمام الذهبي.

ويُكثر من ترديدها، فسمع أهل مكه النبي صلى الله عليه وسلم يذكر آلهتهم، ففرحوا بذلك، ودنوا يستمعون، فألقى الشيطان في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم: "تلك الغرانيق العلى، ومنها الشفاعة ترتجى" فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، فأنزل الله عليه: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ}** [الحج:52]. إلى قوله: **{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** [الحج: 52].

أخرجه ابن جرير "17/ 121" قال: حدثت عن الحسين يقول: سمعت معاذًا يقول: أخبرنا عبيد قال: سمعت معاذًا يقول: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول:

قلت: وهذا إسناد ضعيف منقطع مرسل، الضحاك هذا الظاهر أنه ابن مزاحم الهلالي الخراساني، هو كثير الإرسال، كما قال الحافظ، حتى قيل: إنه لم يثبت له سماع من أحد من الصحابة، والراوي عنه عبيد لم أعرفه1، وأبو معاذ الظاهر أنه سليمان بن أرقم البصري، وهو ضعيف، كما في "التقريب"، والراوي عنه الحسين هو ابن الفرج أبو علي وقيل: أبو صالح، ويعرف بابن الخياط والبغدادي، وهو ضعيف متروك، وله

---

1 ثم تبين لي أنه ابن سليمان الباهلي، وروى عن الضحاك بن مزاحم، وعنه جمع، منهم أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي. قال في "التقريب": لا بأس به. ومما ذكرنا نتبين أيضًا أن أبا معاذ الراوي عن عبيد، ليس هو سليمان بن أرقم وإنما هو الفضل بن خالد النحوي أورده ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" " 3/ 2/ 61" ولم يذكر فيه جرحًا أو تعديلًا.

ترجمة في "تاريخ بغداد" و"الميزان" و"اللسان" ثم شيخ ابن جرير فيه مجهول لم يُسَمَّ.

9- عن محمد بن فضالة الظفري، والمطلب بن عبد الله بن حنطب قالا: "رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه كفًّا عنه، فجلس خاليًا، فتمنى فقال: ليته لا ينزل عليّ شيء ينفّرهم عني، وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، ودنا منهم، ودنوا منه، فجلس يومًا مجلسًا في ناد من تلك الأندية حول الكعبة، فقرأ عليهم **{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}** [النجم: 1]، حتى إذا بلغ: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ**

وَالْعُـزَّى، وَمَنَـاةَ الثَّالِثَـةَ الْأُخْـرَى} [النجم: 19-20]، ألقى الشـيطان كلمـتين على لسـانه: "تلـك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى"، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهمـا ثم مضـى، فقـرأ السورة كلها، وسجد وسجد القوم جميعًا، ورفع الوليد بن المغـيرة ترابًا إلى جبهتـه فسـجد عليـه، وكـان شيخًا كبيرًا لا يقدر على السجود، ويقال: إن أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ ترابًا فسجد عليـه رفعـه الى جبهته، وكان شيخًا كبيرًا، فبعض الناس يقول: إنما الذي رفع التراب الوليد، وبعضـهم يقـول: أبـو أحيحـة، وبعضهم يقول: كلاهما جميعًا فعل ذلك. فرضوا بما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقـالوا قـد عرفنا أن الله يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هـذه تشـفع لنـا عنـده، وأمـا إذ جعلت لهـا نصـيبًا فنحن معك، فكبُر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم

ص -30- حتى جلس في البيت، فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام، فعَرَض عليه السورة فقال جبريل: جئتك1 بهاتين الكلمتين؟!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: قُلتُ على اللـه مـا لم يقـل، فـأوحى اللـه إليـه: **{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَـكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَـا إِلَيْـكَ لِتَفْتَـرِيَ عَلَيْنَـا غَيْـرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا، وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَـاكَ لَقَـدْ كِـدْتَ تَـرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَـيْئًا قَلِيلًا، إِذًا لَأَذَقْنَـاكَ ضِـعْفَ الْحَيَـــاةِ وَضِـــعْفَ الْمَمَـــاتِ ثُمَّ لا تَجِـــدُ لَـــكَ عَلَيْنَـــا نَصِـــيرًا}** [الإســـراء: 73-75]. أخرجه ابن سعد في "الطبقات: ج1 ق1 ص 137"2: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني يونس بن محمد بن فضـالة الظفـري عن أبيـه، قـال: وحـدثني كثـير بن زيـد عن المطلب بن عبـد اللـه بن حنطب قـالا: قلت: وهذا إسناد ضعيف جدًا، لأن محمد بن عمر، هو الواقدي، قال الحافظ في "التقريب": "متروك مع سعة علمه". وشيخه في الإسناد الأول يونس بن محمد، ووالده محمد بن فضـالة، لم أجـد لهمـا ترجمـة، ثم رأيت ابن أبي حـــاتم أوردهمـــا "4/1/55 و 4/2/246" ولم يـــذكر فيهمـــا جرحًـــا ولا تعـــديلًا. وفي

---

1 كـذا في الأصـل وهـو جـائز على الاسـتفهام الإنكـاري، وفي القرطـبي نقلًا عن الواحـدي "مـا جئتـك"

2 "انظر طبعة دار صادر 1/205".

ص -31- إسناده الثاني كثير بن زيد وهو الأسلمي المدني مُختَلف فيـه، قـال الحافـظ: "صـدوق يخطيء".

ثم هو مرسل فإن المطلب بن عبدالله بن حنطب كثير التدليس والإرسال، كمـا في "التقـريب". ولـذلك قال القرطبي بعد أن ساق الرواية الثانية، وحُكي عن النحاس تضعيفها كما سـبق نقلـه عنـه هنـاك قـال: قلت: فذكره مختصرًا ثم قال: "قال النحّاس: هذا حديث مُنكَر منقطـع، ولا سـيما من حـديث الواقـدي". 10- عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة "النجم" وهو بمكة، فـأتى على هـذه الآية **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَـاةَ الثَّالِثَـةَ الْأُخْـرَى}** [النجم: 19-20]، فـألقى الشـيطان على لسانه "أنهن الغرانيق العلى" فأنزل الله: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِـكَ...}** الآيـة [الحج:52]. وكـذا أورده الســـــــــــيوطي في "الـــــــــــدرر المنثـــــــــــور: 4/ـــــــــــ 267" وقـــــــــــال: "أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ومن طريق أبي بكر الهذلي وأيوب عن عكرمة عن ابن عباس، ومن طريق سليمان التيمي عمن حدثه عن ابن عباس".

ص -32- قلت: فهـــــــذه طـــــــرق ثلاث عن ابن عبـــــــاس وكلهـــــــا ضـــــــعيفه.
أمـــا الطريـــق الأولى: ففيهـــا الكلـــبي وهـــو كـــذّاب كمـــا تقـــدم بيانـــه قريبًـــا.
وأمـــــــــا الطريـــــــــق الثانيـــــــــة: ففيهـــــــــا من لم يســـــــــمّ.
وأما الطريق الثالثة: ففيها أبو بكر الهذلي. قال الحافظ في "التقريب": "أخبـاري مـتروك الحـديث" لكن قد قرن فيها أيوب، والظاهر أنه السختياني، فلا بد أن يكون في الطريق إليه من لا يُحتَج به لأن الحافـظ قـال في "الفتح: 8/ـ 355" بعـد أن سـاقه من الطـرق الثلاث: "وكلهـا ضـعيف أو منقطـع".
وقد ذكر ما يفيـد أن ابن مردويـه أخرجهـا من طريـق عبـاد بن صـهيب، وهـو أحـد المـتروكين، كمـا قـال الحافـــــــــظ الـــــــــذهبي في ترجمتـــــــــه من "المـــــــــيزان".
وله طريق رابع، أخرجه ابن جرير "17/ 120"، حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي. ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس، "أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يُصلّي إذ نزلت عليه قصة آلهـة العرب، فجعل يتلوها، فسمعه المشركون، فقالوا: إنا

ص -33- نسمعه يذكر آلهتنا بخير، فـدنوا منـه، فبينمـا هـو يقـول: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُـزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، ألقى الشـيطان: "إن تلـك الغرانيـق العلى، منهـا الشـفاعة ترتجى"، فجعل يتلوها، فنزل جبريل صلى الله عليـه وسـلم فنسـخها، ثم قـال لـه: **{وَمَا أَرْسَـلْنَا مِنْ قَبْلِـــــــــــــــــــــــــــــــكَ...}** الآيـــــــــــــــــــــــــــــــة [الحج: 52].
رواه ابن مردويـــــــــه أيضًـــــــــا كمـــــــــا في "الـــــــــدرر: 4/366".
قلت: وهذا إسناد ضعيف جدًا، مُسَلسَل بالضعفاء: محمد بن سعد، هـو ابن محمـد بن الحسـن بن عطيـة بن جُنـادة أبـو جعفـر العـوفي ترجمـه الخطيب في "تـاريخ بغـداد: 5/322-323" وقـال: "كـان ليّنًـا في الحـــديث".
ووالده سعد بن محمد ترجمـه الخطيب أيضًا "9/126-ـ 127" وروي عن أحمـد أنـه قـال فيـه: "لم يكن ممن يســـــــتأهل أن يكتب عنـــــــه، ولا كـــــــان موضـــــــعًا لـــــــذلك".
وعمه هو الحسين بن الحسن بن عطية بن سعد، وهو متفق على ضَـعفه ترجمـه الخطيب "8/29-ـ 32" وغـــيره.
وأبوه الحسن بن عطية ضعيف أيضًا اتفاقًا، وقد أورده ابن حبان في "الضـعفاء" وقـال: "مُنكَـر الحـديث، فلا أدري البَلِيّة منه أو من ابنه، أو منها معًا؟" ترجمته في "تهذيب التهذيب".

ص -34- وكذا والده عطية، وهو مشهور بالضَّعف1.

1 قلت: ومما يدل على بطلان نسبة هذه القصـة إلى ابن عبـاس، لا سـيّما من روايـة أيـوب عن عِكرمـة عنه، أن الطبراني أخرجها مختصرًا في "المعجم الكبير: ورقة 138 وجـه 1 المطبوعـة 11/11866" من طريقين عن عبد الوارث: ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد وهـو

بمكة بـ"النجم" وسجد معه المسلمون والمشركون، وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري، فهذا القدر من القصة هو الصحيح عن ابن عباس وغيره من الصحابة مما سيأتي ذكره.

ص -35- **بيان بطلان القصة متنًا:**

تلك هي روايات القصة، وهي كلها كما رأيت مُعَلَّة بالإرسال والضّعف والجَهالة، فليس فيها ما يصلُح للاحتجاج به، لا سيّما في مثل هذا الأمر الخطير. ثم إن مما يؤكد ضَعفها بل بطلانها، ما فيها من الاختلاف والنّكارة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، وإليك البيان:

أولًا: في الروايات كلها، أو جُلها، أن الشيطان تكلم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الجملة الباطلة التي تمدح أصنام المشركين، "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى".

ثانيًا: وفي بعضها كالرواية الرابعة: "والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاء به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ وهم" ففي هذا أن المؤمنين سمعوا ذلك منه صلى الله عليه وسلم، ولم يشعروا بأنه من إلقاء الشيطان، بل اعتقدوا أنه من وحي الرحمن!! بينما تقول الرواية السادسة: "ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان" فهذه خلاف تلك.

ثالثًا: وفي بعضها كالرواية "1و 4 و 7 و 9": أن النبي صلى الله عليه وسلم

ص -36- بقي مدة لا يدري أن ذلك من الشيطان، حتى قال له جبريل: "معاذ الله! لم آتك بهذا، هذا من الشيطان!!".

رابعًا: وفي الرواية الثانية أنه صلى الله عليه وسلم سها حتى قال ذلك! فلو كان كذلك، أفلا ينتبه من سهوه؟!

خامسًا: في الرواية العاشرة الطريق الرابع: أن ذلك ألقيَ عليه وهو يصلي!!

سادسًا: وفي الرواية "4 و 5 و 9" أنه صلى الله عليه وسلم تمنّى أن لا ينزل عليه شيء من الوحي يَعيبُ آلهة المشركين، لئلا ينفروا عنه!! وانظر المقام الرابع من كلام ابن العربي الآتي "ص50".

سابعًا: وفي الرواية "4 و 6 و 9" أنه صلى الله عليه وسلم قال عندما أنكر جبريل ذلك عليه "أفتريتُ على الله، وقلتُ على الله ما لم يقل، وشركني الشيطان في أمر الله!!".

فهذه طامّات يجب تنزيه الرسول منها لا سيّما هذا الأخير منها فإنه لو كان صحيحًا لصدق فيه، عليه السلام، -وحاشاه- قوله تعالى: **{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}** [الحاقة: 44-46].

فثبت مما تقدم بطلان هذه القصة سندًا ومتنًا. والحمد لله على توفيقه وهدايته.

ص -37- **كلام الحافظ والرد عليه:**

وقد يقال: إن ما ذهبت إليه من تضعيف القصة سندًا، وإبطالها متنًا، يخالف ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر من تقويتها كما سبق الإشارة إليه آنفًا.

فالجواب: أنه لا ضَير علينا منه، ولئن كنا خالفناه، فقد وافقنا جماعة من أئمة الحديث والعلم سيأتي ذكرهم، فاتباعهم أولى، لأن النقد العلمي معهم، لا لأنهم كثرة، ورحم الله من قال: "الحق لا يعرف

بالرجال إعرف الحق تعرف الرجال".
ولبيان ذلك لا بد لي من أن أنقل كلام الحافظ بتمامه، ثم أتبعه ببيان رأينا فيه، والصواب الذي نرمي إليه فأقول: قال الحافظ في "الفتح: 8/354-355" بعد أن ساق الرواية الأولى وخرّجها هي وغيرها مما تقدم:
"وكلها سوى طريق سعيد بن جبير، إما ضعيف وإما منقطع، ولكن لكثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلًا، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط "الصحيحين" ثم ذكر الرواية الثانية والثالثة ثم قال: "وقد تجرأ أبو بكر بن العربي كعادته فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل

ص -38- لها، وهو إطلاق مردود عليه، وكذا قول عياض: هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، وكذا قوله: ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين، لم يسندها أحد منهم، ثم ردّه من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم، قال: ولم ينقل ذلك انتهى. وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها، دلّ ذلك على أن لها أصلًا، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لا اعتضاد بعضها ببعض".
قاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على إطلاقها:
والجواب عن ذلك من وجوه:
أولًا: أن القاعدة التى أشار إليها، وهي تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على إطلاقها، وقد نبّه على ذلك غير واحد من علماء الحديث المحققين، منهم الحافظ أبو عمر بن الصلاح حيث قال رحمه الله في "مقدمة علوم الحديث: ص36ـ 37": "لعل الباحث الفهم يقول: إنا نجد أحاديث محكومًا بضعفها، مع كونها قد رُويَت بأسانيد كثيرة من وجوه عديدة

ص -39- مثل حديث: **"الأذنان من الرأس"**[1] ونحوه، فهلاّ جعلتم ذلك وأمثاله من نوع الحسن لأن بعض ذلك عضد بعضًا كما قلتم في نوع الحسن على ما سبق آنفًا؟!
وجواب ذلك أنه ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت فمنه ما يزيله ذلك بأن يكون ضعفه ناشئًا من ضعف حفظ راويه، ولم يختلّ فيه ضبطه له، وكذلك إذا كان ضَعفه من حيث الإرسال زال بنحو ذلك، كما في المرسل الذي يرسله إمام حافظ، إذ فيه ضعف قليل يزول بروايته من وجه آخر[2] ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك

---

1 قلت: هذا الحديث عندنا صحيح لغيره، فقد روي عن سبعة نفر من الصحابة من طرق مختلفة قوّي المنذري، وابن دقيق العيد، وابن التركماني، والزيلعي أحدها، ولذلك أوردناه في كتابنا "صحيح سنن أبي داود" وتكلمنا عليه هناك "رقم 123" ثم نشرناه في "سلسلة الأحاديث الصحيحة: رقم36"، وذكرنا فيه طرقه وبعضها صحيح لذاته، فراجعه إن شئت.
وانظر "صحيح سنن أبي داود - باختصار السند" للمؤلف، بإشراف زهير الشاويش، طبع مكتب التربية

العـــــربي لـــــدول الخليج بالريـــــاض، توزيـــــع المكتب الإســـــلامي، الحـــــديث بـــــرقم 122/134.
2 قلت: وهذا ليس على إطلاقه كما يأتي نقله عن "شرح النّخبة" لابن حجر "ص23".

لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعيف الـذي ينشـأ من كون الراوي متهمًا بالكذب، أو كون الحديث شاذًّا. وهذه جملة تفاصيلها تُدرَك بالمباشرة والبحث، فـاعلم ذلـــــــــك فإنـــــــــه من النفـــــــــائس العزيـــــــــزة".
قلت: ولقد صدق رحمه الله تعالى، فإن الغَفْلَةَ عن هذه النفيسة قـد أوقعت كثـيرًا من العلمـاء، لا سـيّما المشتغلين منهم بالفقـه في خطـأ فاضـح، ألا وهـو تصـحيح كثـير من الأحـاديث الضـعيفة اغـترارًا بكَـثرة طُرقها، وذهولًا منهم عن كون ضعفها من النوع الذي لا ينجبر الحديث بضعفها، بل لا تزيـده إلا وَهنًـا على وهن، ومن هذا القبيل حديث ابن عباس في هذه القصـة، فـإن طرقـه كلهـا ضـعيفة جـدًا كمـا تقـدم، فلا يتقـــــــــــوى بهـــــــــــا أصـــــــــــلًا.
لكن يبقى النظــــر في طــــرق الحــــديث الأخــــرى، هــــل يَتَقَــــوّى الحــــديث بهــــا، أم لا؟ فاعلم أنها كلها مرسلة، وهي على إرسالها معلة بالضـعف والجهالـة كمـا سـبق تفصـيلها، سـوى الطـرق الأربعة الألى منها "رقم 1 و 2 و 3 و 5" فهي التي تستحق النظر، لأن الحافظ رحمه الله جعلهـا عمدتـه في تصحيحه هذه القصة، وتقويته لها بها، وهذا مما نخالفه فيه، ولا نوافقه عليـه، وبيـان ذلـك يحتـاج إلى مقدمة وجيزه مفيدة إن شاء الله تعالى، وهي:

ضـــــــــــعف الحـــــــــــديث المرســـــــــــل:
الوجـــــــه الثـــــــاني: وهـــــــو يحتـــــــوي على تحقيـــــــق أمـــــــرين أساســـــــيين:
الأول: أن الحديث المُرسَل، ولو كان المُرسِل ثقة، لا يُحتج به عند أئمة الحديث، كما بيّنه ابن الصلاح في "علـــــــوم الحـــــــديث" وجـــــــزم هـــــــو بـــــــه فقـــــــال "ص58":
"ثم اعلم أن حكم المُرسَل حكم الحديث الضعيف، إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجـه آخـر كمـا سـبق بيانه... وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضَعفه، هـو المـذهب الـذي اسـتقر عليـه آراء جمـــــاهير حفّـــــاظ الحـــــديث، ونقـــــاد الأثـــــر، وقـــــد تـــــداولوه في تصـــــانيفهم".
الأمر الثاني: معرفة سبب عدم احتجاج المحدثيين بالمُرسَل من الحديث، فاعلم أن سبب ذلـك إنمـا هـو جَهالة الوساطة التي روى عنها المُرسِل الحديث، وقد بيّن ذلك الخطيب البغـدادي في "الكفايـة في علم الروايـــــــة" حيث قـــــــال "ص 287" بعـــــــد أن حكى الخلاف بالعمـــــــل المرســـــــل:
"والذي نختاره سقوط فرض العمـل بالمراسـيل، وأن المرسـل غـير مقبـول، والـذي يـدل على ذلـك أن إرسال الحديث يؤدي إلى الجهل بعين راويه، ويستحيل العلم بعدالته مع الجهل بعينه، وقـد بيّنـا من قبـل أنه لا يجوز قبول الخبر إلا ممن عرفت عدالته

فوجب كذلك كونه غير مقبول، وأيضًا فإن العدل لو سئل عمن أرسل عنه؟ فلم يُعدّله، لم يجب العمل بخبره، إذا لم يكن معروف العدالة من جهـة غـيره، وكـذلك حالـه إذا ابتـدأ الإمسـاك عن ذكـره وتعديلــه، لأنــه من الإمســاك عن ذكــره غــير مُعــدّل لــه، فــوجب أن لا يقبــل الخــبر عنــه".

وقال الحافظ ابن حجر في "شرح نخبة الأفكار" "ص17" بعد أن ذكر الحديث المرسل في "أنواع الحديث المردود":

"وإنما ذكر في قسم المردود للجهل بحال المحذوف، لأنه يحتمل أن يكون صحابيًا، ويحتمل أن يكون تابعيًا، وعلى الثاني يحتمل أن يكون ضعيفًا، ويحتمل أن يكون ثقة، وعلى الثاني يحتمل أن يكون حُمل عن صحابي، ويحتمل أن يكون حمل عن تابعي آخر وعلى الثاني فيعود الاحتمال السابق ويتعدد، أما بالتجويز العقلي، فإلى ما لا نهاية، وأما بالاستقراء، فإلى ستة أو سبعة، وهو أكثر ما وجد من رواية بعض التابعين عن بعض، فإن عرف من عادة التابعي أنه لا يرسل إلا عن ثقة، فذهب جمهور المحدثين إلى التوقف، لبقاء الاحتمال، وهو أحد قولي أحمد، وثانيهما: يقبل مطلقًا، وقال الشافعي رضي الله عنه: يُقبل إن اعتضد بمجيئه من وجه آخر يباين الطريق الأولى مسندًا كان أو مرسلًا ليترجّح احتمال كون المحذوف ثقة في نفس الأمر"

ص -43- قلت: فإذا عرف أن الحديث المُرسَل لا يقبل، وأن السبب هو الجهل بحال المحذوف فيرد عليه أن القول بأنه يقوى بمرسل آخر غير قوي لاحتمال أن يكون كل من أرسله إنما أخذه عن راوٍ واحد، وحينئذ ترد الاحتمالات الذي ذكرها الحافظ، وكأن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قد لاحظ ورود هذا الاحتمال وقوته، فاشترط في المرسل الآخر أن يكون مُرسِله أخذ العلم عن غير رجال التابعي الأول، كما حكاه ابن الصلاح "ص35" وكأن ذلك لَيغلب على الظن أن المحذوف في أحد المرسَلين هو غيره في المرسَل الآخر.

وهذه فائدة دقيقة لم أجدها في غير كلام الشافعي رحمه الله فاحفظها وراعِها فيما يمر بك من المرسَلات التي تذهب البعض إلى تقويتها لمجرد مجيئها من وجهين مرسَلين دون أن يراعوا هذا الشرط المهم.

ثم رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد نصّ أيضًا على هذا الشرط في كلام له مفيد في أصول التفسير، نقله عنه الحافظ محمد بن عبد الهادي في كتاب له مخطوط في الأحاديث الضعيفة والموضوعة "حديث 405/221"، فقال ابن تيمية رحمة الله تعالى:

"وأما أسباب النزول، فغالبها مرسل، ليس بمسند، لهذا قال الإمام أحمد: ثلاث علوم لا إسناد لها. وفي لفظ: ليس لها

ص -44- أصل: التفسير والمغازي والملاحم. يعني أن أحاديثها مرسلة، ليست مسندة".

والمراسيل قد تنازع الناس في قَبولها وردها. وأصح الأقوال: أن منها المقبول، ومنها المردود، ومنها الموقوف، فمن عُلم من حاله أنه لا يرسل إلا عن ثقة قُبل مُرسَلُه، ومن عُرف أنه يُرسِل عن الثقة وغير الثقة، كان إرساله رواية عمن لا يُعرف حاله، فهو موقوف. وما كان من المراسيل مخالفًا لما رواه الثقات، كان مردودًا، وإن جاء المرسَل من وجهين، كل من الراويين أخذ العلم عن غير شيوخ الآخر، فهذا يدل على صدقه فإن مثل ذلك لا يُتصور في العادة تماثل الخطأ فيه وتعمد الكذب...".

قلت: ومع أن التحقق من وجود هذا الشرط في كل مرسَل من هذا النوع، ليس بالأمر الهيِّن، فإنه لو تحققنا من وجوده، فقد يَردُ إشكال آخر، وهو أنه يحتمل أن يكون كل من الواسطتين أو أكثر ضعيفًا، وعليه يحتمل أن يكون ضعفهم من النوع الأول الذي ينجبر بمثله الحديث على ما سبق نقله عن ابن الصلاح، ويحتمل أن يكون من النوع الآخر الذي لا يقوى الحديث بكثرة طرقه، ومع ورود هذه الاحتمالات

يسقط الاستدلال بالحديث المرسل وإن تعددت طرقه. وهذا التحقيق مما لم أجد مَن سبقني إليـه، فـإن أصبت فمن الله تعالى وله الشكر، وإن أخطأت فمن نفسي، وأستغفر الله من ذنبي.

ص -45-

وبالجملة فالمانع من الاستدلال بالحديث المرسل الذي تعدد مرسِلوه أحد الاحتمــالين:
الأول: أن يكـــــــــــــــون مصـــــــــــــــدر المرســــــــــــــلين واحــــــــــــــدًا.
الثاني: أن يكونوا جمعًـا، ولكنهم جميعًـا ضـعفاء ضـعفًا شـديدًا. وبعـد هـذه المقدمـة نسـتطيع أن نقـول: إننا لو ألقينا النظر على روايات هذه القصة، لألفيناها كلها مرسَلة، حاشا حديث ابن عباس، ولكن طرقــه كلها واهية شديدة الضعف لا تنجبر بها تلك المراسيل، فيبقى النظر في هذه المراسيل، وهي كما علمت سبعة، صح إسناد أربعة منها، وهي مرسل سعيد بن جبير، وأبي بكـر بن عبـد الـرحمن بن الحـارث، وأبي العالية "رقم1-3"، و مرسل قتادة، رقم "5" وهي مراسيل يـرد عليهـا أحـد الاحتمـالين السـابقين، لأنهم من طبقة واحدة: فوفاة سعيد بن جبير سنة "95" وأبي بكر بن عبد الرحمن سنة "94"، و أبي العاليـة -واسمه رفيع مصغرًا- سنة "90" وقتادة سنة بضع عشرة ومائة، والأول كوفي، والثاني مدني، والأخــيران بصريان. فجائز أن يكون مصدرهم الذي أخذوا منه هذه القصة ورووها عنه، واحدًا لا غير، وهو مجهول.

ص -46-

وجائز أن يكون جمعًا، و لكنهم ضعفاء جميعًا، فمع هذه الاحتمــالات لا يمكن أن تطمئن النفس لقَبول حديثهم هذا، لا سيّما في مثل هذا الحدث العظيم الذي يمسّ المقام الكريم، فلا جَرَم تتابع العلماء على إنكارها، بل التنديد ببطلانها، ولا وجه لذلك من جهة الرواية إلا مـا ذكرنـا، وإن كنت لم أقـف على من صــــرّح بـــــذلك كمــــا ذكـــــرت آنفًــــا. قــــال الفخــــر الــــرازي في "تفســــيره 6/193": "روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة1 أنه سـئل عن هـذه القصـة؟ فقـال: "هـذا من وضـع الزنادقـة"، وصنّف فيه كتابًا. وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: "هذه القصة غير ثابتة من جهـة النقـل" ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم، و أيضًا: فقد روى البخاري في "صحيحه" أن

---

1 هو الإمام ابن خُزَيمة صاحب "الصحيح" المعروف به، وقد تبع الفخر في عـزو هـذا الكلام لابن خزيمـة المحقق الشوكاني في "فتح القدير" "3/447". وأما ابن حيان فعـزاه في تفسـيره "البحـر" لمحمـد ابن إسـحاق جـامع "السـيرة النبويـة". وتبعـه الآلوسـي في تفسـيره "17/161". و الأرجح عنـدي الأول لأن الحافظ ابن حجر ذكر في "الفتح: 8/354" تبعًا لابن كثير أن ابن إسحاق روى هذه القصة في "السـيرة" مطولًا، فهذا يُبعِد نسبة ذلك القول إليه، ولو كان له، لنبّه عليه الحافظ عقب ذلك والله أعلم.

ص -47-

النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـرأ سـورة "النجم" وسـجد وسـجد فيهـا المسـلمون والمشركون، والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق وروى هذا الحديث من طرق كثيرة، وليس فيهـا البتـــــــــــــة حـــــــــــــــــــــــــــديث الغرانيـــــــــــــــــــــــــــق.
و قـــد تبـــع هـــؤلاء جماعـــة من الأئمـــة العلمـــاء، و هـــاك أســـماءهم على تـــرتيب وفيـــاتهم:
1- أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد المعروف بابن العربي تـوفي سـنة "542"، في تفسـيره "أحكـام

القـــرآن".
2- القاضـــي عيـــاض بن موســـى بن عيـــاض "544" في كتابـــه "الشـــفا في حقـــوق المصـــطفى".
3- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسـن الـرازي "606" في تفسـيره "مفـاتيح الغيب: 6/193-197" و قـــــــــــــــــد مضـــــــــــــــــــــى بعض كلامـــــــــــــــــــــه في ذلـــــــــــــــــــك.
4- محمـــد بن أحمـــد الأنصـــاري أبـــو عبـــد اللـــه القرطـــبي في "أحكـــام القـــرآن: 12/80-84".
5- محمد بن يوسف بن علي الكرماني من شرّاح "البخاري: 786"، وقد نقل كلامه في ذلك الحافظ في "الفتح: 8/498".
6- محمـــــود بن أحمـــــد بـــــدر الـــــدين العيـــــني "855" في "عمـــــدة القـــــاري: 9/47".
7- محمـــــد بن علي بن محمـــــد اليمـــــني الشـــــوكاني "1250" في "فتح القـــدير: 3/247-248".
8- السيد محمود أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي "1270" في "روح المعاني: 17/160-169".

ص -48- 9- صـــــديق حســـــن خـــــان أبـــو الطيب "1307" في تفســـــيره "فتح البيـــــان".
10- محمـــد عبـــده المصـــري الأســـتاذ الإمـــام "1323" في رســـالة خاصـــة لـــه في هـــذه القصـــة.
و إذا عرفت هذا فلا بأس من ذكر كلمات بعض هؤلاء العلماء، لما فيها من الفوائد والتحقيقات التي تزيـد القارئ إيمانًا ببطلان القصة، وتجعله يتبين أن النقد العلمي الرجيح يتفق دائمًا مع النقد الحديثي الصحيح، لأن كلًا منهما يقوم على قواعد علمية دقيقة لا تقبل التغيير والتبديل، وأنا أكتفي هنا بكلمات أربعة منهم. ومن شاء الزيادة فليرجع إلى المصادر الأخرى التي أشرنا إليها، والأربعة هم: 1- ابن العربي 2- القاضـي عيـــــــــــــــــــــــاض 3- الشـــــــــــــــــــــــــوكاني 4- الآلوســـــــــــــــــــــــــــــي.
1- كلام أبي بكـــــــــــــــر بن العـــــــــــــــربي في إبطـــــــــــــــال القصـــــــــــــــة:
قال رحمه اللـه تعـالى بعـد أن ذكـر سـبب نـزول آيـة الحج الـتي ذكرناهـا في أول الرسـالة ملخصًا من الروايات التي أوردناها:

ص -49- "اعلموا أنار الله أفئدتكم بنور هداه، ويسَّر لكم مقصد التوحيد ومغزاه، أن الهدى هدى الله، فسبحان من تفضل به على من يشاء ويصرفه عمن يشاء، وقد بيَّنَّا معنى هذه الآية في "فضل تنبيه الغبي على مقدار النبي" بما نرجو به عند الله الجـزاء الأوفى في مقـام الـزلفى، ونحن الآن نجلـو بتلـك الفصـــول الغمـــاء، ونـــرقيكم بهـــا عن حضـــيض الـــدهماء إلى بقـــاع العلمـــاء في عشـــر مقامـــات.
المقام الأول: أن النبي صلى الله عليه و سلم إذا أرسل الله إليه الملَك بوحيه، فإنـه يخلـق لـه العلم بـه حتى بتحقيق أنه رسول من عنده، ولولا ذلك لما صحّت الرسـالة، ولا تـبينت النبـوة، فـإذا خلـق اللـه لـه العلم به تميز عنده من غيره، و ثبت اليقين، واسـتقام سـبيل الـدين، ولـو كـان النـبي إذا شـافهه الملـك بالوحي لا يدري، أمَلَكٌ هو، أم شـيطان، أم أنسـان، أم صـورة مخالفـة لهـذه الأجنـاس ألقت عليـه كلامًـا وبلغت إليه قولًا لم يصح أن يقول: إنه من عند الله، ولا تثبت عنـدنا أنـه أمـر اللـه، فهـذه سـبيل متيقنـة، وحالة متحققة لا بد منها، ولا خلاف في المنقول ولا في المعقول فيها، ولو جاز للشيطان أن يتمثل فيهـا، أو يتشبّه بها ما أمناه على آية، ولا عرفنا منه باطلًا من حقيقة، فارتفع بهـذا الفصـل اللَبس، وصـح اليقين في النفس.

ص -50- المقام الثاني: أن الله قد عصم رسوله من الكفر، وأَمنه من الشرك، واستقر ذلك من دين المسلمين بإجماعهم فيه وإطباقهم عليـه، فمن ادعى أنـه يجـوز عليـه أن يكفـر باللـه أو يشـك فيـه طرفة عين، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، بل لا تجوز عليه المعاصي في الأفعال، فضلًا عن أن ينسب إلى الكفر في الاعتقاد، بل هو المنزّه عن ذلك فعلًا و اعتقادًا، و قد مهدنا ذلك في كتب الأصـول بأوضـح دليـــــــل.

المقام الثالث: أن الله قد عرّف رسوله بنفسه و بصّره بأدلتـه، وأراه ملكـوت سـماواته وأرضـه، وعرّفـه سنن من كان قبله من إخوته فلم يكن يخفى عليه من أمر الله ما نعرفه اليـوم، ونحن حُثالـة أمتـه، ومن خطـــر لـــه ذلـــك فهـــو ممن يمشـــي مُكِبًّا على وجهـــه، غـــير عـــارف بنبيّـــه ولا بربـــه.

المقام الرابع: تأملوا فتح الله إغلاق النظر عنكم إلى قول الرواة الـذين هم بجهلهم أعـداء على الإسـلام ممن صرح بعداوته أن النبي صلى الله عليه و سلم لما جلس مع قريش تمنى أن لا ينزل عليه من الله و حي[1] فكيف يجوز لمن معه أدنى مسكة أن يخطر بباله أن النبي صلى الله عليه و سلم آثر وصـل قومـه على وصل ربه، وأراد أن لا يقطع أنسـه بهم بمـا يـنزل عليـه من عنـد ربـه من الـوحي الـذي كـان حيـاة جسده.

1 انظر السبب السادس من أسباب بطلان القصة متنًا ص 36

ص -51- وقلبه، و أنس وحشته وغاية أمنيته، وكان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم أجـود الناس، فإذا جاءه جبريل، كـان أجـود بـالخير من الـريح المرسَـلة، فيـؤثر على هـذا مجالسـته للأعـداء؟!

المقام الخامس: أن قول الشيطان: "تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن لترتجى" للنبي صلى الله عليـه و سلم قَبِله منه، فالتبس عليه الشيطان بالملَك، و اختلط عليه التوحيد بالكفر، حتى لم يفرّق بينهما، وأنا من أدنى المؤمنين منزلة، وأقلهم معرفة بما وفقني الله لـه، وآتـاني من علمـه لا يخفى عليَّ وعليكم أن هذا كفر لا يجوز وروده من عند الله، ولو قال أحـد لكم لتبـادر الكـل إليـه قبـل التفكـير بالإنكـار والـردع والتثريب والتشنيع، فضلًا عن أن يجهل النبي صلى الله عليه و سلم حـال القـول، ويخفى عليـه قولـه ولا يتفطن لصفة الأصنام بأنها "الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتجى" وقد علم علمًا ضروريًا أنها جمادات لا تسمع ولا تبصر، ولا تنطـق ولا تضـر، ولا تنفـع ولا تنصـر ولا تشـفع، بهـذا كلـه كـان يأتيـه جبريـل الصـباح والمساء، وعليه انبنى التوحيد ولا يجوز نسخه من جهة المنقول، فكيف يخفى هذا على الرسول؟! ثم لم يَكْفِ هذا حتى قالوا: إن جبريل عليه السلام لما عاد إليه بعد ذلـك ليعارضـه فيمـا ألقي إليـه من الـوحي كررها عليه جاهلًا بها -تعالى الله عن ذلك- فحينئذ أنكرها عليه جبريل، وقال له: "ما جئتك بهـذا!" فحـزن النبي صلى الله عليه و سلم وأنزل عليه: **{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا**

ص -52- **إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ}** [الإسـراء: 73] فياللـه والمتعلمين والعـالمين من شـيخ فاسـد موسـوس هامـد لا يعلم أن هـذه الآيـة نافيـة لمـا زعمـوا، مبطلـة لمـا رووا وتقوّلـوا. وهـو:

المقام السادس: و ذلك أن قول ابن العربي: "كاد يكون كذا" معناه قارب ولم يكن فأخبر اللـه في هـذه

الآية أنهم قـاربوا أن يفتنـوه عن الـذي أوحي إليـه، ولم تكن فتنـة، ثم قـال: **{لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَـا غَيْـرَهُ}** [الإسـراء: 73] وهـو:

المقام السابع: ولم يفتر، ولو فتنـوك وافـتريت لاتخـذوك خليلًا، فلم تفتتن ولا افـتريت ولا اتخـذوك خليلًا، **{وَلَـوْلا أَنْ ثَبَّتْنَـاكَ}** [الإسـراء:74] وهـو:

المقام الثامن: **{لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا}** [الإسراء:74]، فأخبر الله سبحانه و تعـالى أنـه ثبته، وقرر التوحيد والمعرفة في قلبه، وضرب عليه سرادق العِصمة، وآواه في كَنَف الرحمـة، ولـو وكلـه إلى نفسه، ورفع عنه ظل عصمته لحظة، لألممت بما راموه ولكنا أمرنا عليك المحافظة، وأشرقنا بنوره الهداية فؤادك، فاستبصر وأزاح عنك الباطل ودحر، فهذه الآية نص في عصـمته من كـل مـا نسـب إليـه، فكيف يتأولها أحد عدوا عما1 نسب إليه من الباطل إليه؟!

---

1 كذا في الأصل.

المقام التاسع: قوله: "فما زال مغمومًا مهمومًا حتى نزلت عليه: **{وَمَـا أَرْسَـلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ}** [الحج:52]1، فأما غمـه و حزنـه، فبـأن تمكن الشـيطان ممـا تمكن ممـا يأتي بيانـه، و كـان النـبي صـلى اللـه عليـه و سـلم يعـز عليـه أن ينـال الشـيطان شـيئًا وإن قـل تـأثيره.

المقام العاشر: إن هذه الآية نص في غرضنا، الدليل على صحة مذهبنا، أصل في براءة النبي صـلى اللـه عليه و سلم مما نسب إليه أنه قاله عندنا، وذلك أنه قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُـولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}** [الحج:52]2، فـأخبر اللـه تعـالى أن من سـنته في رسله، وسيرته في أنبيائه، أنهم إذا قالوا عن الله قولًا، زاد الشيطان فيه من قبل نفسـه، كمـا يفعـل سائر المعاصي، كما تقول: ألقيت في الدار كذا، وألقيت في العِكم3 كذا، وألقيت في الكيس كـذا، فهـذا نص في أن الشيطان زاد في الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم، لا أن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم قاله، وذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا قرأ تلا قرآنا مقطّعًا، وسكت في مقاطع الآي سـكوتًا محصلًا، وكذلك كان حديثه مترسلًا فيه

---

1 انظـر الروايـة 3، 4، 6.

2 الأصـل "تلاوتـه".

3 بكسر العين: العدل

متأنيًـا، فتبـع الشـيطان تلـك السـكتات الـتي بين قولـه: **{وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْـرَى}** [النجم: 20] و بين قوله تعالى: **{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى}** [النجم: 21]، فقـال يحـاكي صـوت النـبي صلى الله عليه وسـلم: "وأنهن الغرانقـة العلى وإن شـفاعتهن لـترتجى"، فأمـا المشـركون، والـذين في قلوبهم مرض لقلة البصيرة وفساد السريرة، فتلوها عن النبي صلى الله عليـه وسـلم، ونسـبوها بجهلهم إليه، حتى سجدوا معه اعتقادًا أنه معهم، وعلم الذين أوتوا العلم والإيمان أن القرآن حـق من عنـد اللـه،

فيؤمنون به، ويرفضون غيره، وتجيب قلـوبهم إلى الحـق، وتنفـر عن الباطـل، وكـل ذلـك ابتلاء من اللـه، ومحنة، فأين هذا من قولهم؟! وليس في القرآن إلا غاية البيان بصيانة النبي صلى اللـه عليـه وسـلم في الإسرار و الإعلان، عن الشرك والكُفران، وقد أودعنا إليكم توصية أن تجعلوا القـرآن، إمـامكم، وحروفـه أمامكم، فلا تحملوا عليها ما ليس فيها، ولا تربطوا بها ما ليس منهـا، ومـا هـدي لهـذا إلا الطـبري بجلالـة قدره وصـفاء فكـره، وسـعة باعـه في العلم، وشـدة سـاعده وذراعـه في النظـر، وكأنـه أشـار إلى هـذا الغرض، وصوَّب على هذا المرمى فقرطس بعد ما ذكر في ذلك روايات كثـيرة باطلـة لا أصـل لهـا، ولـو شاء ربك لما رواها أحد، ولا سطرها، ولكنـه فعـال لمـا يريـد، عصـمنا اللـه و إيـاكم بـالتوفيق والتسـديد، وجعلنا من أهل التوحيد بفضله ورحمته".

ص -55- **2- كلام القاضـــــــــــــــــي عِيـــــــــــــــاض في ذلـــــــــــــك:**

و قال القاضي عِيَاضْ: "فاعلم أكرمك الله: أن لنا في الكلام على مشكل الحديث مأخـذين: أحـدهما في تـــــــــــــــوهِين أصـــــــــــــــله، والثـــــــــــــــاني على تســـــــــــــــليمه.

أما المأخذ الأول، فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجـه أحـد من أهـل الصـحة، ولا رواه ثقـة بسـند متصـل سليم، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكـل غـريب، المتلقفـون من الصـحف كـل صحيح وسقيم، وصدق القاضـي بكـر بن العلاء المـالكي حيث قـال: لقـد بُلي النـاس ببعض أهـل الأهـواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقله، واضطراب رواياته، وانقطـاع إسـناده واختلاف كلماتـه. فقائل يقول: إنه في الصلاة، وآخر يقول: قالها في نادي قومه حين أنـزلت عليـه السـورة، وآخـر يقـول: قالها وقد أصابته سِنة، وآخر يقول: بل حَدَّثَ نفسه فسها، وآخر يقـول: إن الشـيطان قالهـا على لسـانه، وإن النبي صلى الله عليه و سلم لما عرضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأتك؟! وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، قال: والله ما هكذا أنزلت. إلى غير ذلك من اختلاف الرواة، ومن حُكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين

ص -56- والتابعين لم يُسْندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضـعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث شُعبة عن أبي بِشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيمـا أحسـب -الشـك في الحديث- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة، وذكر القصة. وقال أبو بكر البزّار: "هذا الحـديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذِكره إلا هذا، ولم يسنده عن شبعة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبـاس". فقد بيَّن لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يُعرف من طريق يجوز ذكره سـوى هـذا، وفيـه من الضـعف مـا نبَّه عليه مع وقوع الشك فيه -كما ذكرنا- الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه. وأما حـديث الكلـبي فممـا لا تجـوز الرواية عنه، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزّار، والذي منه في "الصحيح" "أن النبي صـلى الله عليه و سلم قرأ: "النجم" وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس "هذا توهينه من طريـــــــــــــــــــــــــــــــق النقـــــــــــــــــــــــــــــــل".

فأما من جهة المعنى: فقد قامت الحُجَّة، وأجمعت الأمة على عِصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهتـه عن مثل هذه الرذيلة، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهـةٍ غـيرٍ اللـه وهـو كفـر، أو أن يتسـور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي صلى اللـه عليـه وسـلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل

ص -57- عليهما السلام، وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه و سلم أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدًا، وذلك كفر، أو سهو، وهو معصوم من ذلك كله، وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جَرَيان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدًا ولا سهوًا، وأن يشتبه عليه ما يلقيه الملَك بما يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو يتقول على الله لا عمدًا و لا سهوًا ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالى: **{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ}** الآية [الحاقة: 44]، و قال **{إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ}** [الإسراء: 75].

ووجه ثانٍ: وهو استحالة هذه القصة نظرًا وعُرفًا، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام، ممتزج المدح والذم، متخاذل التأليف والنّظم، ولَمَا كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك، وهذا لا يخفى على أدنى متأمِّل، فكيف بمن رجَحَ حلمه، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه؟!

ووجه ثالث: أنه قد علم من عادة المنافقين، ومعاندة المشركين، وضعفة القلوب، والجهلة من المسلمين، نفورهم لأول وَهْلة، وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفنية بعد الفنية، وارتداد من في قلبه

ص -58- مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شُبهة، ولم يحكِ أحد في هذه القصة شيئًا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة، كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء، حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردّة. كذلك ما روي في قصة القضية، ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت، و لا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت، فما رُوي عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة، فدل على بطلانها و اجتثاث أصلها. ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على مُغفَّلي المحدثين، يلبس به على ضعفاء المسلمين.

ووجه رابع: ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت: **{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ...}** الآيتين [الإسراء: 73-74]. و هاتان الآيتان تردّان الخبر الذي رووه، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا ليفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم، فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى قد عصمه من أن يفتري، وثبته حتى لم يركن إليهم قليلًا، فكيف كثيرًا؟ و هم يروون في أخبارهم الواهية أن زاد على الركون الافتراء بمدح آلهتهم، وأنه قال صلى الله عليه و سلم: "أفتريت على الله، وقلت ما لم يقل" و هذا ضد مفهوم الآية.

ص -59- وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له؟ وهذا مثل قوله تعالى في الآية الأخرى: **{وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ}** [النساء: 113]. وقد روي عن ابن عباس: "كل ما في القرآن "كاد" فهو ما لا يكون".

قال القاضي: ولقد طالَبَتْه قريش وثقيف إذا مرّ بآلهتهم أن يُقبل بوجهه إليها، ووعوده الإيمان به إن فعل، فما فعل ولا كاد أن يضل، وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر، ما ذكرناه من نصّ الله على

عصمة رسوله برد سفاسفها، فلم يبق في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار، وراموا من فتنته، ومرادنا في ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه و سلم وهو مفهوم الآية.

وأما المأخذ الثاني: فهو مبني على تسليم الحديث لو صح أعاذنا الله من صحته، ولكن مع كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة بأجوبه منها الغث و السمين".

قلت: فذِكر هذه الأجوبة، وضعفها جلها أو كلها، إلا الأخير منها، فإنه استظهره ورجحه، وهو الذي أجاب به ابن العربي فيما تقدم من كلامه "ص 53":

ص -60- إن الشيطان هو الذي ألقى ذلك في سكتة النبي صلى الله عليه و سلم بين الآيتين، محاكيًا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم وأشاع ذلك المشركون عنه صلى الله عليه وسلم، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظه السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله، وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذمّ الأوثان وعيبها على ما عرف منه، وقد حكى موسى بن عُقبة في مغازيه نحو هذا وقال: "إن المسلمين لم يسمعوها، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم"1 ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنه.

ردُّ الحافظ على ابن العربي و القاضي عِياض و تعقبنا عليه:

وأما قول الحافظ في "الفتح" بعد أن نقل خلاصة عن الوجوه التي تقدمت عن الإمامين المذكورَيْن في إعلال القصة وتوهينها:

"وجميع ذلك لا يتمشى على قواعد، فإن الطرق إذا كثرت و تباينت مخارجها، دلّ ذلك على أن لها أصلًا، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض".

---

1 قلت: ونحوه في رواية عروة "رقم 6 ص 24-ـ 25"، وإن كان في آخرها ما يخالف هذا وقد نقلت رواية موسى بن عقبه عن ابن كثير فيما تقدم "ص 19".

ص -61- فأقول: إن هذا الجواب ليس بالقوي على إطلاقه لما بيَّنّا فيما تقدم أن تقوية الحديث بكثرة الطرق ليس قاعدة مضطردة، نعم من ذهب إلى الاحتجاج بالمرسل مطلقًا أو عند اعتضاده، ففي الجواب رد قوي عليه، كالقاضي عياض وغيره ممن يقبل مرسل الثقة1 أما نحن فهو غير وارد علينا لما أوردنا من الاحتمالات التي تمنع الاحتجاج بالحديث المرسل ولو من غير وجه، ولعل هذا مذهب الحافظ ابن كثير حيث قال عند تفسيره للآية السابقة "3/229":

"قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظنًا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح".

فإن ابن كثير يعلم أن بعض هذه المراسيل التي أشار إليها أسانيدها صحيحة إلى مُرْسِلها، فلو كان بعضها يعضد بعضًا عنده وتقوي القصة بذلك، لما ضعفها بحجة أنه لم يرها مسندة من وجه صحيح وهذا بيِّن لا يخفى ثم إن من الغريب أن الحافظ ابن حجر مع ذهابه إلى تقوية

1 تخريج الكشاف "4/112"

ص -62- القصة يرى أن فيها ما يُستنكر و أنه يجب تأويله فيقـول بعـد كلامـه الـذي نقلتـه آنفًـا:
"وإذا تقرر ذلك تعيَّن تأويل مـا وقـع فيهـا ممـا يسـتنكر وهـو قولـه: "ألقى الشـيطان على لسـانه: "تلـك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى" فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى اللـه عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمدًا منه، وكـذا سـهوًا إذا كـان مغـايرًا لمـا جـاء بـه من التوحيـد لمكـان عصمته".
ثم ذكر الحافظ مسالك العلماء في تأويل ذلك، ثم اعتمد على الوجه الأخير منهـا. وهـو الـذي نقلنـاه عن القاضي عياض قبيل هذا الفصل، وقلنا إنه رجَّحه، ثم قال الحافظ: "وهذا أحسن الوجوه، ويؤيِّده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير تمنَّى بـ"تلا".
فينتج من ذلك أن الحافظ رحمه الله، قد سَّلم أن الشيطان لم يتكلم على لسان النبي صـلى اللـه عليـه وسلم بتلك الجملة، وإنما ألقاها الشيطان بلسانه في سكتة النبي صلى الله عليـه وسـلم، فهـذا لا يتفـق البتة مع القول بصحة القصة، أو أن لها أصلًا، فإن كان يريد بذلك أن لهـا أصـلًا في الجملـة، أعـني بـدون هذه الزيادة، فهذا ليس هو موضع خلاف بينه وبين العلماء الـذين ردّ عليهم قـولهم ببطلان القصـة، وإنمـا الخلاف في الجملة التي تزعم الروايات أن الشيطان ألقاها

ص -63- على لسانه صلى الله عليه وسلم فإذ قد صرح الحافظ بإنكارها وتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عنها فنستطيع أن نقول لحضرة السائل:
إن الحافظ متفق مع ابن كثير -و غيره ممن سبقه ولحقه- على إنكار القصة على ما وردت في الروايات حتى التي صحَّحها الحافظ، وأما ما بقي منها مما لا يتنافى مع عصمة النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فلا خلاف في إمكان وقوعها، بل الظاهر أن هذا القدر هـو الـذي وقـع بـدليل ظـاهر آيـة الحج حسـبما تقـدم تفسيرها في أوائل الرسالة1.
نعم يرد على الحافظ هنا اعتراضان:
الأول: تليينه العبارة في إنكار تلك الزيادة، لأنه إنما أنكرها بطريق تأويلهـا! وحقـه أن ينكرهـا من أصـلها، لأن التأويل الذي زعمه ليست تفيده تلك الزيادة أصلًا، لأن الحافظ يقول: "إن الشـيطان هـو الـذي ألقى بلسانه في سكتة النبي صلى الله عليه وسلم". وهي تقول: "إن الشيطان ألقى على لسان النـبي صـلى الله عليه وسلم" فأين هذا من ذلك؟!

1 وبعد كتابة ما تقدم رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية يميل إلى تثـبيت القصـة بالقـدر المـذكور، وأن قولـه: "تلك الغرانيق العلى..." لم يلفظ به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما ألقاه الشيطان في أسماعهم. راجع كلامه في الفتاوى "2/282".

ص -64- الثاني: تشنيعه القول على ابن العربي والقاضي عياض لإنكارهما القصة، ومع أنه يعلم أنهما أنكراها لم فيها من البواطيل التي لا تتفق مع القول بعصمة الرسول الكريم، منها هذه الزيادة التي وافقها الحافظ على استنكارها، مع فارق شكلي وهو أنهما كانا صريحين في إنكارها من أساسها، بينما الحافظ إنما أنكرها بطريق تأويلها –زعم-.
ومن هنا يتبين لك ضعف ما قاله في رده على القاضي في "تخريج الكشاف".
"وأما طعنه فيه باختلاف الألفاظ فلا تأثير للروايات الواهية في الرواية القوية، فيعتمد من القصة على الرواية الصحيحة، أي: يُعتمد على الرواية المتابعة، وليس فيها وفيما تابعها اضطراب والإضطراب في غيرها، وأما طعنه من جهة المعنى فله أسوة كثيرة من الأحاديث الصِّحاح التي لا يؤخذ بظاهرها، بل يرد بالتأويل المعتمد إلى ما يليق بقواعد الدين".
قلت: إن هذا الرد ضعيف، لأن الرواية الصحيحة التي أشار إليها هي رواية ابن جُبير المتقدمة وفيها كما في غيرها من الروايات المتابعة الأمر المستنكر باعترافه، بل في بعض الروايات عن سعيد ما هو أنكر من ذلك وهو قوله:
"ثم جاءه جبريل بعد ذلك فقال: إعْرض علي ما جئتك به، فلما بلغ "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى" قال له

ص -65- جبريل: لم آتك بهذا، وهذا من الشيطان!!"، وقد جاء هذا في غير رواية سعيد كما تقدم، ولازمه أن النبي صلى الله عليه و سلم قد انطلى عليه وحي الشيطان واختلط عنده بوحي الرحمن، حتى لم يميِّز بينهما، وبقي على هذه الحالة ما بقي، إلى أن جاءه جبريل في المساء! سبحانك هذا بهتان عظيم و افتراء جسيم
فاتضح أن ليس هناك رواية معتمدة صحيحة بالمعنى العلمي الصحيح، وأن الرواية التي صححها الحافظ قد أنكر بعضها هو نفسه فأين الإعتماد.
وأما قوله: "إن حديث الغرانيق له أسوة بكثير من الأحاديث الصحيحة"، فصحيح لو صح إسناده وأمكن تأويله، وكلا الأمرين لا نسلِّم به. أما الأول فلما علمت من إرساله من جميع الوجوه حاشا ما اشتد ضعفه من الموصول، وإنها على كثرتها لا تعضده. وأما الأمر الآخر فلأن التأويل الذي ذهب إليه الحافظ رحمه الله هو في الحقيقة ليس تأويلًا، بل هو تعطيل لحقيقة الجملة المستنكرة، وهو أشبه ما يكون بتأويلات بل تعطيلات القرامطة و الرافضة للآيات القرآنية والأحاديث المصطفوية. تأييدًا لمذاهبهم الهدّامة وآرائهم الباطلة، خلافًا للحافظ رحمه الله فإنه إنما فعل ذلك دفاعًا عن مقام الحضرة النبوية والعصمة المحمدية، فهو مشكور على ذلك ومأجور، وإن كان مخطئًا عندنا في ذلك التأويل مع تصحيح القصة.

ص -66- **3- كلام الشوكاني:**
وقال الشوكاني رحمه الله تعالى:
"ولم يصح شيء من هذا، ولا يثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته، بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه" ثم ذكر بعض الآيات الدالّة على البطلان ثم قال: "وقال إمام الأئمة ابن خزيمة، إن هذه القصة من وضع الزنادقة".
4- كلام الآلوسي في إبطال القصة:

وعلى كل حال فإن الحافظ ابن حجر رحمه الله متفق مع الذين أنكروا القصة على تنزيهه صلى الله عليه وسلم من أن يكون للشيطان تَكلُّم على لسانه عليه الصلاة والسلام، فالخلاف بينه وبينهم يكاد يكون شكليًا أو لفظيًا، وإنما الخلاف الحقيقي بينهم وبين بعض المتأخرين1 حيث ذهب إلى تصحيح القصة مع التسليم بها دون

---

1 هو الشيخ إبراهيم الكوراني كما صرح بذلك الآلوسي وهو إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي ولد بـ"شهرزور" في شوال "1025هـ" وقدم المدينة ولازم القشاشي واجتمع في مصر عند مروره بها مع الشهاب الخفاجي، توفي بالمدينة في 28 جمادى الأولى سنة "1101هـ" كذا في "تاج العروس" للمناوي.

ص -67- استنكار أي شيء منها، أو تأويل! بل جوّز على النبي صلى الله عليه وسلم جميع ما فيها زاعمًا أن ذلك لا يتنافى مع عصمته، بل هو تأديب له! في كلام له طويل. يُغني و ضوح بطلانه عن إيراده وتسويد الصفحات لرده، وقد نقله الآلوسي برمّته، ثم رده عليه في كلام متين، ولولا أن هذه العجالة لم توضع لهذه الغاية، لَسُقته بتمامه فأختصر من ذلك على قوله في خاتمة بحثه: "لكن إثبات صحة الخبر أشد من خرط القتاد، فإن الطاعنين فيه من حيث النقل علماء أجلاء، عارفون بالغث والسمين من الأخبار وقد بذلوا الوُسع في تحقيق الحق فيه فلم يرووه إلا مردودًا، وهم أكثر ممن قال بقَوله، ومنهم من هو أعلم منه، ويغلب على الظن أنهم و قفوا على رواته في سائر الطرق فرأوهم مجروحين، وفات ذلك القائل بالقَبول1. ولَعمري إن القول بأن هذا الخبر مما ألقاه الشيطان على بعض ألسنة الرواة، ثم وفق الله تعالى جمعًا من خاصته لإبطاله، أهون من القول بأن حديث الغرانيق مما ألقاه الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نَسَخَه

---

1 قلت: هذا فيه بعد لا سيما بالنسبة للحافظ ابن حجر، فلو كان هناك جرح فلا يخفى عليه، والحق أن الحافظ جرى على بعض القواعد الحديثية فهو أعذر ممن خالفها ولم يجب عنها، وقد أجبنا نحن فيما سبق فالأقرب أن يقال: إنهم وقفوا على علة وهي الإرسال حسبما فصّلنا في سائر الطرق ولكن لم يرها علة فادحة القائل بالقبول.

ص -68- سبحانه وتعالى ولا سيّما وهو مما لم يَتوقف على صحته أمر ديني، ولا معنى آية، ولا سِوى أنها يتوقف عليها حصول شبه في قلوب كثير من ضعفاء المؤمنين لا تكاد تدفع إلا بجهد جهيد". وهذا آخر الكلام في تحقيق بطلان قصة الغرانيق.

وقد بقي علينا التعرض لذكر فائدة سبقت مناسبتها وهي سجود المشركين مع النبي صلى الله عليه و سلم عند قراءة سورة "النجم" وهي تضمن بيان سبب ذلك فأقول:

سبب سجود المشركين مع النبي صلى الله عليه و سلم:

رب سائل يقول: إذا ثبت بطلان إلقاء الشيطان على لسانه عليه الصلاة والسلام جملة "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى" فَلِمَ إذن سجد المشركين معه صلى الله عليه وسلم وليس ذلك من

عــادتهم؟
والجـــواب مــا قالـــه المحقـــق الآلوســـي بعـــد ســـطور من كلامـــه الـــذي نقلتـــه آنفًـــا:
"وليس لأحد أن يقول: إن سجود المشركين يدل على أنه كان في السورة مـا ظـاهره مـدح آلهتهم، وإلا لما سجدوا، لأننا نقول: يجوز أن يكونوا سجدوا لدهشة أصابتهم وخوف اعتراهم عند سماع الســورة لمـا فيها من قوله تعالى: **{وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى**

ص -69- **وَثَمُـودَ فَمَـا أَبْقَى، وَقَـوْمَ نُـوحٍ مِنْ قَبْـلُ إِنَّهُمْ كَـانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى، وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى}** إلى آخـر الآيـات [النجم: 50-40]. فاستشـعروا نـزول مثـل ذلك بهم، ولعلهم لم يسمعوا قبل ذلك مثلها منه صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بين يـديْ ربـه سـبحانه في مقام خطير وجمع كثير، وقد ظنّوا من ترتيب الأمر بالسجود على ما تقدم أن سـجودهم ولـو لم يكن عن إيمان، كافٍ في دفع ما توهَّموه، ولا تستبعد خوفهم من سماع مثل ذلك منه صلى الله عليـه وسـلم، فقد نزلت سورة "حم السجده" بعد ذلك كما جاء مصرّحا به في حديث عن ابن عباس. ذكره السـيوطي في أول "الإتقان" فلما سمع عُتبة بن ربيعة قوله تعالى فيها: **{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَـاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}** [فصّلت: 13]! أمسك على فم رسول الله صلى الله عليه وسـلم، وناشـده الرحم واعتذر لقومه حين ظنوا به أنه صبأ وقال: "كيف وقد علمتم أن محمـدًا إذا قـال شـيئًا لم يكـذب؟ فخفت أن ينزل بكم عذاب" وقد أخرج ذلك الـبيهقي في "الـدلائل" وابن عسـاكر في حـديث طويـل عن جــــــــــــابر بن عبـــــــــــــد اللـــــــــــــه رضـــــــــــــي اللـــــــــــــه عنـــــــــــــه.
ويمكن أن يقال على بعد: إن سجودهم كان لاستشعارِ مدح آلهتهم، ولايلزم منه ثبوت ذلك الخـبر، لجـواز أن يكون ذلك الاستشعارِ من قوله تعالى: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ**

ص -70- **الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** [النجم: 19-20]، بناء على أن المفعـول محـذوف وقـدّروه حسـبما يشتهون، أو على أن المفعول: **{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى}** [النجم: 21]. وتوهّموا أن مصب الإنكار فيه كون المذكورات إناثًا، والحب لشيء يعمي ويُصمّ، وليس هذا بأبعد من حملهم "تلك الغرانيـق العلى وإن شفاعتهن لترتجى" على المدح حتى سجدوا لذلك آخر السـورة، مـع وقوعـه بين ذمين المـانع من حملـه على المـــــــدح في الـــــــبين كمـــــــا لا يخفى على من ســـــــلمت عين قلبـــــــه من الغين".
"وســـــبحانك اللهم وبحمـــــدك، أشـــــهد أن لا إلـــــه إلا أنت، أســـــتغفرك وأتـــــوب إليـــــك".
محمــــــــــــــــــــــــــد ناصــــــــــــــــــــــر الـــــــــــــــــــــــدين الألبـــــــــــــــــــــــاني
انتهى تبيض هذه الرسالة صباح يوم الإثنين الواقع في 7/3/1372هـ - 23/11/1952م أسأل اللـه تعـالى أن يفيد بها السائل وسائر المسلمين ويجعلها خالصة لوجه الكريم.

ص -71- **الفهـــرس:**